

أدوات الكتابة وأثرها في تقنيات حفظ القرآن الكريم - دارفور نموذجاً

1. د.الصادق أحمد عبدالله يوسف /أستاذ السنة وعلوم الحديث، وعميد كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بجامعة الفاشر.
2. د.علي بشر عبدالله محمد / أستاذ العقيدة الإسلامية، ومدير معهد القرآن الكريم وتأصيل العلوم بجامعة زالنجي .
3. د. بخيت عثمان جبارة ثقل /أستاذ النحو والصرف المشارك- بجامعة الفاشر- كلية الآداب- قسم اللغة العربية.
4. د. محمد يوسف إبراهيم سعيد /أستاذ التقنيات التربوية بجامعة الفاشر، وأمين الشؤون العلمية .
5. د. صديق السايير علي الدومة /أستاذ علم اللغة المشارك بجامعة الفاشر، كلية التربية قسم اللغة العربية .
6. د.أحمد عبدالرحمن أبكر سبيل /أستاذ القراءات المساعد ، ورئيس قسم القراءات القرآنية بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، جامعة الفاشر.

مخلص البحث:

تَهْدَفُ هَذِهِ الدَّرَاسَةُ، إِلَى حَصْرِ وَبَيَانِ نَوْعِيَةِ أَدَوَاتِ كِتَابَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، الَّتِي اسْتَحْدَمَهَا الْمُسْلِمُونَ مُنْذُ صَدْرِ الْإِسْلَامِ ، مَعَ التَّرْكِيزِ عَلَى بَيَانِ الْأَدَوَاتِ الَّتِي اسْتَحْدَمَهَا شُبُوحُ وَتَلَامِيذُ الْخَلَاوِي فِي إِقْلِيمِ دَارْفُورٍ، أَحَدِ أَقَالِيمِ السُّودَانِ ، فَقَدْ أَهْتَمُّ أَهْلُ هَذَا الْإِقْلِيمِ بِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَحِفْظِهِ وَتَدْرِيسِهِ وَكِتَابَتِهِ نُسْخَهُ، وَلِهَذَا فَمَعْرِفَةُ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ مَهْمَةٌ جَدًّا، بِاعْتِبَارِ أَنَّ التَّارِيخَ يَبْدَأُ بِمَعْرِفَةِ الْإِنْسَانِ لِلْكِتَابَةِ ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ تُعَدُّ مِنْ أَجْمَلِ تَقْنِيَّاتِ اتِّقَانِ حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ، قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الْإِنْسَانُ التَّقْنِيَّةَ الْحَدِيثَةَ ، وَهِيَ تَعَكُّسُ مَهَارَاتِ وَابْتِكَارَاتِ أَهْلِ الْقُرْآنِ فِي دَارْفُورٍ ؛ فِي اخْتِرَاعِ أَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ الْمُنَاسِبَةِ لِعَصْرِهُمْ ، وَتَكَتُّبِ الْكِتَابَةِ أَهْمِيَّةٍ فِي تَدْوِينِ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْدَاثِ، فَالْكِتَابَةُ هِيَ الْوَسِيلَةُ الْوَحِيدَةُ لِلْقَضَاءِ عَلَى ظَاهِرَةِ النِّسْيَانِ الْمَوْجُودَةِ بِالنَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ، وَتُسَاهِمُ فِي نَقْلِ الْمَعْلُومَاتِ مِنْ جِيلٍ إِلَى آخَرٍ، وَتَأْتِي أَهْمِيَّةُ الْكِتَابَةِ أَيْضًا لَكُونِهَا وَسِيلَةً كَبْرَى مِنْ وَسَائِلِ الْمَعْرِفَةِ، وَأَدَاةً مَهْمَةً لِتَبْلِيغِ الْمَعَانِي ، وَلَعَلَّهُ لَا يَخْفَى عَلَى عَاقِلٍ أَهْمِيَّةُ الْكِتَابَةِ وَعِظَامَةُ الْأَمَةِ عَلَيْهَا فِي دِينِهَا وَدُنْيَاهَا ، مِنْ أَجْلِ الْقِيَامِ بِقِيَادَةِ الْبَشَرِيَّةِ قِيَادَةً رَشِيدَةً، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَنَّ الْكِتَابَةَ عِنَصْرٌ أَسَاسٌ فِي النُّهُوضِ بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ الْكَبْرَى.

أَمَّا الْمُنْهَجُ الْمَتَّبَعُ فِي كِتَابَةِ هَذِهِ الْوَرَقَةِ فَهُوَ الْمُنْهَجُ التَّارِيخِيُّ الْوَصْفِيُّ بِالْعَوْدَةِ إِلَى وَاقِعِ الْأَحْدَاثِ ذَاتِ الصَّلَةِ بِالْمَوْضُوعِ فِي دَارْفُورٍ، وَاتِّبَاعِ ذَلِكَ بِدَرَاةٍ تَحْلِيلِيَّةٍ جَادَةٍ لِلْأَحْدَاثِ وَالنُّصُوصِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي هَذَا الْمَجَالِ ، وَذَلِكَ بِالْعَمَادَةِ عَلَى الْمَرَاجِعِ ذَاتِ الصَّلَةِ بِالْمَوْضُوعِ، وَإِجْرَاءِ بَعْضِ الْمَقَابِلَاتِ مَعَ بَعْضِ شُبُوحِ الْخَلَاوِي بِمَدَنٍ وَقَرَى دَارْفُورِ .

خَرَجَتْ الدَّرَاسَةُ بِجُمْلَةٍ نَتَائِجٍ، كَانَ أَهْمُهَا : أَنَّ حَالَةَ كِتَابَةِ الْقُرْآنِ فِي دَارْفُورٍ كَانَتْ فِي غَايَةِ مِنَ السَّهُولَةِ وَالِاتِّقَانِ ، وَأَسْهَمَتْ تِلْكَ الْأَدَوَاتُ إِسْهَامًا كَبِيرًا فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنِ الضِّيَاعِ وَالنِّسْيَانِ.

وقد تم تقسيم البحث هذا إلى ثلاثة مباحث ، ومقدمة ، وخاتمة ، ونتائج ، ومصادره ؛
المبحث الأول : دور الإسلام في تعليم الكتابة ، المبحث الثاني : أدوات الكتابة وأثرها في عصر النبي
صلى الله عليه وسلم ، المبحث الثالث : أدوات كتابة القرآن الكريم في خلاوي دارفور .

Abstract

This study aims, to inventory and statement of the quality of writing the Koran tools decent, used by Muslims since the beginning of Islam, with a focus on the statement of the tools used by the elders and students Khalawi in the Darfur region, one of the regions of Sudan, has been interested in the people of this region to teach the Koran and save it, and teaching and writing copy, Knowledge of these tools is very important, given that history begins with a person's knowledge of writing, and that these tools are among the most beautiful techniques of mastering the memorization of the Noble Qur'an at that time before man knew modern technology, and they reflect the skills and innovations of the people of the Qur'an in Darfur, in inventing writing tools appropriate for their era.

Writing is important in recording facts and events, for writing is the only way to eliminate the phenomenon of forgetfulness existing in the human soul, and it contributes to the transfer of information from one generation to another, and the importance of writing also comes as it is a major means of knowledge and an important tool for communicating meanings. The importance of writing and the nation's reliance on it in its religion and world, in order to carry out rational leadership of humanity, and there is no doubt that writing is an element

I am essential in carrying out this major task.

As for the methodology used in writing this paper, it is the descriptive historical approach by going back to the reality of the events related to the topic in Darfur, and this is followed by a serious analytical study of the events and texts mentioned in this field, by relying on the relevant references, and conducting some inter-

views with some elders of al-Khalawi in cities and villages Darfur.

The study came out with a set of results, the most important of which were: that the state of writing the Qur'an in Darfur was very easy and perfect, and these tools made a great contribution to preserving the Holy Qur'an from being lost and forgotten.

This research has been divided into three sections, an introduction, conclusion, results of the research, and its sources. The first topic: The role of Islam in learning to write, the second topic: Writing tools and their impact in the era of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, the third topic: Tools for writing the Noble Qur'an in the cells of Darfur.

المقدمة :

النبي (ﷺ) هو أشد الناس عناية بالقرآن الكريم من جميع جوانبه ؛ كتابة وحفظاً وتدبراً، ومن شدة عنايته به صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بأمور تزيد من عنايتهم بالقرآن، كأمره إياهم بالحفظ والتعاهد ، والكتابة ، والتدبر وغير ذلك، وقد ورد في كتب علوم القرآن ما يشير إلى تلك الأشياء التي كان يكتب عليها القرآن الكريم ، وسنذكر في هذا البحث الأدوات التي يستخدمها شيوخ وطلاب الخلاوي في دارفور لكتابة القرآن الكريم ، من أجل الربط بين الأدوات المستخدمة قديماً للكتابة، وفقاً لظروف البيئة في ذلك الزمان ، وبين الأدوات المستخدمة في عصرنا الحاضر في دارفور، باعتبارها من أفضل وأحدث التقنيات لكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وستكون الفرصة متاحة لباحثين آخرين في المستقبل للكتابة عن الأشياء التي يستحدثها الإنسان بفعل التطور المستمر في وسائل الكتابة ، لاسيما بعد ظهور الحاسب الآلي وانتشاره بشكل واسع ، وتنوع تطبيقاته.

إن الأدوات التي استخدمت في كتابة القرآن الكريم في خلاوي دارفور لم تكن في مجملها خارجة عما يوجد في بيئتهم ، فهم يستخدمون أجزاء من الشجر أو قطعاً من الخشب ، ومن الجلود وما شابهها ، وهذا يدخل في قسم الوسائل التي يكتب عليها، وأما ما يكتب به فمعلوم أن لكل وسيلة مما سبق ما يناسبها من وسيلة للكتابة عليها؛ فقد يكتب بالمداد وقد يكتب بالنقش وغير ذلك وسنرى كل هذا في هذا البحث بإذن الله تعالى.

المبحث الأول:

دور الإسلام في تعلّم الكتابة:

إنّ التطور الإنساني على هذه الأرض مرّ بثلاث مراحل رئيسية هي: مرحلة التخاطب، الرسم، والكتابة، وكل مرحلة استغرقت مئات - إن لم تكن آلاف - السنين، وهي تعكس مدى تعايش وتطور الإنسان على هذه الأرض.

إن التاريخ يبدأ بمعرفة الإنسان للكتابة، ففي العصور الوسطى لجأ الإنسان القديم إلى

كتل حجرية للكتابة عليها، وأخذ الإنسان يفكر في وسائل أخرى أكثر خفة وأسهل في النقل فجزب الكتابة على ورق الشجر، وفي مصر استخدم المصريون القدماء نبات البري (Papyrus) **الموجود** بالمستنقعات على أطراف النيل وذلك في حوالي عام 4000 ق. م.⁽¹⁾

وللكتابة أهمية كبيرة، حيث إنها تساعد المطلع على قراءة المكتوب، وهي من الأمور التي يجب على المشتغلين بالكتابة معرفتها.

وللعلامة ابن خلدون عبارات جميلة في الكتابة والخط نأخذ منها قوله: (...) وأما الكتابة وما يتبعها من الوراقة فهي حافظة على الإنسان حاجته ومقيدة لها عن النسيان ومبلغة ضمائر النفس إلى البعيد الغائب ومخلدة نتائج الأفكار والعلوم في الصحف ورافعة رتب الوجود للمعاني...⁽²⁾

يشير ابن خلدون هنا إلى أهمية الكتابة في تدوين الوقائع والأحداث، فالكتابة هي الوسيلة الوحيدة للقضاء على ظاهرة النسيان الموجودة بالنفس البشرية، فتساهم هذه الكتابة في نقل المعلومات من جيل لآخر.

تأتي أهمية الكتابة أيضاً لكونها وسيلة كبرى من وسائل المعرفة، وأداة مهمة لتبليغ المعاني، وتقدم بما تقدم به الألفاظ في بيان المقاصد والأهداف، ولعله لا يخفى على عاقل أهمية الكتابة واعتماد الأمة عليها في دينها ودنياها.

فقد اعتمد خيار هذه الأمة وسلفها من الصحابة الكرام على الكتابة، فوافقوا مجتمعين على تدوين كتاب الله (عز وجل) الذي هو شرع هذه الأمة ودستورها. كما أن المصدر الثاني من التشريع وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نقلت إلينا مكتوبة حفظتها كتب السنن. وصدق الإمام ابن القيم رحمه الله حين قال: «ولو لم يعتمد على ذلك - أي الكتابة - لضاع الإسلام اليوم، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليس بأيدي الناس - بعد كتاب الله - إلا هذه النسخ الموجودة من السنن، وكذلك كتب الفقه الاعتماد فيها على النسخ»⁽³⁾.

ومن عناية الشارع الكريم بالكتابة جعلها وسيلة لإثبات الحقوق، حيث أرشد المولى عز وجل إلى كتابة الحقوق في أطول آية في القرآن وهي آية الدين، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ ... {الآية⁽⁴⁾

وتمشياً مع مفهوم أن أمة هذه الأمة، لا تعني التقليل من دور الكتابة في حياتها بحال من الأحوال، وإنما للأمية دلالاتها المشرفة، ومعانيها الطيبة الحميدة، فقد حض الإسلام على تعلم الكتابة، وأولى هذا الجانب من حياة المسلمين جل اهتمامه وعظيم عنايته.

ومن هنا، فقد ألح الإسلام على ضرورة تعلمها، باعتبارها إحدى وسائل نشر الدعوة إلى دين الله تعالى، ومدرجاً مهماً من مدارج تقدم البشرية وهو حضارتها.

وعليه، فقد كان أول ما أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الإلهي قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}⁽⁵⁾، وذكر القلم هنا إشارة للكتابة .

فالخطوة الأولى من خطوات الدعوة إلى الله عز وجل بدأت باقراً ، نعم، أن يقرأ باسم الله الخالق الكريم، الرب المعلم بـ (القلم) ، الذي علم الإنسان - عن طريق القلم وعن طريق غيره ما كان يجهله، ولا يتصور له - قبلاً - أنه سيتعلمه.

فالقلم كان ولا يزال أوسع أدوات التعليم أثراً في حياة الإنسان، وهذا ما يفسر هذه الإشارة إليه - بل الإلحاح على ذكره - في أول لحظة من لحظات الوحي، وفي أول سورة من سور القرآن العظيم⁽⁶⁾.

وفي القرآن الكريم سورة سميت بـ (القلم). تأكيداً على دوره المهم ، وبياناً لقيمته ووزنه في كل مجالات الدين والحياة ، بل الله جل جلاله أقسم بالقلم وما يسطره القلم ، كما قال تعالى: {وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ. وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ. وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} ⁽⁷⁾

يقول سيد قطب - رحمه الله : أقسم الله سبحانه بنون، وبالقلم، وبالكتاب. والعلاقة واضحة بين الحرف (نون) بوصفه أحد حروف الأبجدية وبين القلم، والكتابة. فأما القسم بها فهو تعظيم لقيمتها، وتوجيه إليها، في وسط الأمة التي لم تكن تتجه إلى التعلم عن هذا الطريق، وكانت الكتابة فيها متخلفة ونادرة، في الوقت الذي كان دورها المقدر لها في علم الله يتطلب نمو هذه المقدرة فيها، وانتشارها بينها، لتقوم بنقل هذه العقيدة وما يقوم عليها من مناهج الحياة إلى أرجاء الأرض ، ثم لتنهض بقيادة البشرية قيادة رشيدة، وما من شك أن الكتابة عنصر أساس في النهوض بهذه المهمة الكبرى.

إن القسم هنا بنون، والقلم وما يسطرون يعد منهجاً إلهياً لتربية هذه الأمة وإعدادها للقيام بالدور الكوني الضخم الذي قدره له الله **جل**، وعلا في علمه المكنون باستخدام هذه الوسيلة ، وفيه كذلك تأكيد قيمة الكتابة ، وتعظيم لشأنها كما أسلفنا⁽⁸⁾.

كما أن القرآن الكريم حث على تعلم الكتابة ، فذلك الحديث النبوي الشريف، حث على تعلمها وبين ضرورتها، وأكد بأن أول مخلوق وجد هو القلم ، فعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه -، أن النبي - ﷺ - قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ. قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» ⁽⁹⁾ بل شبه صلى الله عليه وسلم العلم بالصيد الذي يحتاج إلى قيد ، فإن لم يقيد ذهب ، فالكتابة بالقلم كالقيد للصيد ، كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -، أن النبي - ﷺ - قال: «قيدوا العلم. قلت: وما تقييده؟ قال: كتابته» ⁽¹⁰⁾

إن الحديث الأول الذي يشير بأن القلم هو أول مخلوق، فليس قبله قطعاً أي مخلوق، لفيه تشريف وتعظيم كبير لدور القلم.

والأمر بتقييد العلم عن طريق كتابته وتسجيله في الحديث الثاني ، كي يحفظ ، فلا يضيع أو ينسى أو تندثر أعلامه، لفيه إشارة كبرى لأهمية اتقان الكتابة، وتوظيفها في جميع شؤون العلم ومجالاته⁽¹¹⁾.

هذا وقد بين أهل العلم ضرورة حفظ العلم وأهمية كل من الكتابة والقراءة وأنهما وسيلتا العلم الأولى فقالوا: (والعلم لابد لِحِفْظِهِ من الكتابة، وقد ربط الله سبحانه في هذه الآيات

التي هي أول ما نزل من القرآن بين القراءة والكتابة على أنهما وسيلتا العلم الأولى لا ينفصلان بحال أبداً، فقال جل ذكره: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} (12). وفي ذلك امتنان منه - تعالى - على الإنسان أن علمه الخط بالقلم، ولم يكن يعلمه، مع أشياء كثيرة غير ذلك، مما علمه ولم يكن يعلمه. والدرس النافع المستنبط هنا هو أهمية الكتابة لطالب العلم.

ومن ثَمَّ فالقراءة وحدها لا تكفي لتثبيت العلم، وإمّا تعضد بالكتابة، فبالقراءة تُشكل الثقافة العامة، ويوجد فرق بين الثقافة وبين العلم، فإن العلم يقتضي استحضار الأدلة على جزئياته وفروعه، وهذا لا يكون إلا بالاستعانة بالكتابة والتصنيف والاستفادة من طريقة العلماء (13).

فالكتابة أصبحت شرطاً في العلم ومرجعاً له؛ ولذلك قال عبد الله بن المبارك: العلم صيد والكتابة قيده فلا يمكن أن يحصل على العلم إلا بذلك.

وقد كان خلفاء هذه الأمة ووزراؤها وقادتها يبالغون في الاهتمام بالكتب، وتشجيع أهلها على تأليفها، واشتهر عمل الوراقين في هذه الأمة، وأصبحت الكتب داخلة في كيان هذه الأمة، وأمرًا من حياتها لا يستغنى عنه أبداً، ولولا ما قيس الله لهذه الأمة من المؤلفين الجهابذة الذين جمعوا العلم في الكتب لضاع علم هذه الأمة، وقد أثنى كثير من الناس على الكتب بسبب أنها حفظت هذا العلم حتى إن أحد الفقهاء يقول: لنا جلساء لا يمل حديثهم ألباء مأمونون غيباً ومشهداً يفيدوننا من علمهم علم ما مضى وعقلاً وتأديباً ورأياً مسدداً فلا فتنة نخشى ولا سوء عشرة ولا نتقي منهم لساناً ولا يداً فإن قلت أموات فلست بكاذب وإن قلت أحياء فلست مفنداً (14).

المبحث الثاني:

أدوات الكتابة وأثرها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم.

مما لا شك فيه أن الكتابة انتشرت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على نطاق أوسع مما كانت عليه في الجاهلية؛ فقد حث القرآن الكريم على التعلم، وحض الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك أيضاً، واقتضت طبيعة الرسالة أن يكثر المتعلمون: القارئون، الكاتبون؛ فالوحي يحتاج إلى كتاب، وأمور الدولة من مراسلات وعهود ومواثيق تحتاج إلى كتاب أيضاً، وقد كثّر الكاتبون بعد الإسلام ليسدوا حاجات الدولة الجديدة؛ فكان للرسول صلى الله عليه وسلم كتاب للوحي بلغ عددهم أربعين كتاباً، وكتاب للصدقة، وكتاب للمداينات والمعاملات، وكتاب للرسائل يكتبون باللغات المختلفة، ومن أشهر هؤلاء الكتاب من المهاجرين والأنصار: الخلفاء الأربعة، ومعاوية وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس، وأرقم بن أبي، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن رواحة، وعمرو بن العاص، وحظلة بن الربيع، وعبد الله بن الأرقم الزهري، وغيرهم (15).

إن حرص الرسول الكريم على تسجيل القرآن وحفظه كان عظيماً. وقد تجلّى هذا الحرص في اتخاذهم كتاباً للوحي، وإملائه عليهم كل ما كان ينزل عليه، وأمره الصريح للمسلمين ألا يكتبوا عنه شيئاً غير القرآن.

ولقد سُجِّلَ القرآن الكريم على ما كان ميسوراً من أدوات الكتابة كالعصب (جريد

النخل)، واللخاف (الحجارة الرقاق)، والأديم والأكتاف (عظام الأكتاف)، والأقتاب (ما يوضع على ظهور الإبل). هذه السجلات المتنوعة كانت أول صورة لجمع الكتاب الكريم. وليس هناك خلاف على أن القرآن كله كان يسجل عقب نزوله، لكن هذا التسجيل لم يجعل في صورة تيسر وضع القرآن بين اللوحين أي في صورة كتاب مجموع بين الدفتين. ولعل تتابع نزول آيات الكتاب، واكتمال سوره على مراحل، وما كان يطرأ على بعض آياته من النسخ هي الأسباب التي أخرت اتخاذ هذه الخطوة في حياة الرسول صلوات الله عليه⁽¹⁶⁾

وقد حصر النبي الكريم جهد هؤلاء الكتاب في كتابة القرآن فمنع من كتابة غيره إلا في ظروف خاصة أو لبعض أناس مخصصين، كما في الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلَيْمَحُهُ »⁽¹⁷⁾ وقد وردت جملة من الأخبار تبين أنواعاً من تلك الأدوات المستعملة من ذلك: ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب أنه قال: لما نزلت: (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)⁽¹⁸⁾، قال النبي: « ادع لي زيدا وليجيء باللوح والدواة والكتف، أو الكتف والدواة، ثم قال: اكتب: لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ، وخلف ظهر النبي عمرو بن أم مكتوم الأعشى، فقال: يا رسول الله فما تأمرني؟ فإني رجل ضير البصر، فنزلت مكانها: (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ)⁽¹⁹⁾ .

ومنها: أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُ الْوَحْيَ قَالَ أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَاءِ فِي الْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ قُلْتُ لِعُمَرَ كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ عُمَرُ هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لِي ذَلِكَ صَدْرِي وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: (إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌ عَاقِلٌ وَلَا تَتَّهِمُكَ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَتَّبَعُ الْقُرْآنَ فَاجْمَعُهُ فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ قُلْتُ كَيْفَ تَفْعَلَانِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقُمْتُ فَتَتَّبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الرَّقَاعِ وَالْأَكْتَفِ وَالْعُسْبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، فَوَجَدْتُ فِي آخِرِ سُورَةِ التَّوْبَةِ: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ}⁽²⁰⁾

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي أَقْرَأُ سُورَةَ ص، (فَلَمَّا أَتَيْتُ عَلَى السَّجْدَةِ سَجَدَ كُلُّ شَيْءٍ رَأَيْتُ، الدَّوَاهُ وَالْقَلَمَ وَاللُّوحَ، فَعَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَأَمَرَ بِالسُّجُودِ فِيهَا)⁽²¹⁾

وقد كثر الكاتبون بعد الهجرة عندما استقرت الدولة الإسلامية، وأرست قواعدها القوية في المدينة؛ فكانت مساجد المدينة التسعة إلى جانب مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم محط أنظار المسلمين، يتعلمون فيها القرآن الكريم، وتعليم الإسلام والقراءة والكتابة، وقد تبرع المسلمون الذين يعرفون القراءة والكتابة بتعليم إخوانهم، ولا يفوتنا أن نذكر أثر غزوة بدر في تعليم صبيان

المدينة حينما أذن الرسول صلى الله عليه وسلم لأسرى بدر أن يفدي كل كاتب منهم نفسه بتعليم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة.

ثم اتسع نطاق التعليم، وانتشر في الآفاق الإسلامية بانتشار الصحابة رضوان الله عليهم، وكثرت حلقاتهم وانتظمت في المساجد وكثر المعلمون، وانتشرت الكتايب في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية وغصت بروادها.

وقد كان لانتشار الكتابة وإتقانها أثر كبير في تدوين العلم وحفظه، وأول ما دون في عهد الرسول ﷺ ما كان يتنزل به الوحي من القرآن الكريم، والوثائق والمعاهدات، والكتب إلى الولاة وغير ذلك مما تحتاج إليه الدولة، كما دون جانب من الحديث النبوي في عهد الرسول ﷺ على يد من سمح له بكتابه كعبد الله بن عمرو بن العاص، ثم ما لبث أن اعتمد أهل العلم على تدوين كل ما له صلة بعلوم الشريعة، وما كاد القرن الهجري الثالث يأفل نجمه حتى كثرت المؤلفات في مختلف العلوم⁽²²⁾.

المبحث الثالث:

أدوات كتابة القرآن الكريم في خلاوي دارفور

تشتهر دارفور بمراكز تحفيظ القرآن الكريم، وتسمى هذه المراكز باسم (الخلاوي)، ومفرد الكلمة خلوة، والخلوة هي المكان الذي يختلي فيه الطالب ليحفظ كتاب الله عز وجل، ويتعلم علومه، في فترة تستغرق ما بين عامين إلى أربعة أعوام، ونار الحطب هي المصدر الوحيد الذي يستضيء به الدارسون ليلاً ليكتبوا آيات وسور القرآن الكريم، ويحفظوا ما كتبوه فيسمع لأصواتهم دوي كدوي النحل.

المراد بأدوات الكتابة هي تلك الوسائل المستخدمة في كتابة القرآن الكريم، ومن بين هذه الأدوات: القلم والحبر واللوح والمحاية والمحبرة والجير وغيرها، وسوف نتناول هذه الأدوات بشيء من البيان.

1/ القلم:

القلم هو أداة لكتابة القرآن الكريم، وغيره، وقد جاء ذكر القلم مفرداً وجمعاً في كتاب الله عز وجل في قوله تعالى {وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم: 1]⁽²³⁾ وفي قوله: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ ٱبْحُرٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَاتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ⁽²⁴⁾، وهنا يعلم الله عز وجل عباده بأن الأقلام التي تكتب بها إنما تبرى من الأشجار، ثم توسع الكتاب في استصناعها من أيسر ما ينبته الله عليهم من مزروعات، ولأهمية هذا القلم الذي يكتب به كان أول أداة خلقها الله عز وجل كما جاء في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ خَلَقَ النُّونَ وَهِيَ الدَّوَاهُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ عَمَلٍ أَوْ أَثَرٍ أَوْ رِزْقٍ أَوْ أَجَلٍ فَكَتَبَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ خَتَمَ عَلَى الْقَلَمِ فَلَمْ يَنْطِقْ وَلَا يَنْطِقْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»⁽²⁵⁾.

تصنيع القلم وطريقة الكتابة به:

القلم يصنع في الغالب من القصب لتوفره وسهولة بريه، والقصب أنواع مختلفة: منها

قصب الدخن ، والذرة ، والعدار ، والتبس والبوص ، لكن أكثر الأقلام متانة وصلابة القلم المصنوع من قصب العدار.

أما كيف يصنع قلم القصب فقد روى الشيخ آدم عبدالله محمد، أحد مشايخ تحفيظ القرآن الكريم ، وهو مدرس بخلوة المدينة المنورة ، بزنجي ، وهي إحدى مدن دارفور الكبيرة ، روى في مقابلة معه فقال: ((... يجهز القلم بإحضار القصبه اليابسة المتينة المستقيمة أولاً، ثم يبرى برياً مائلاً بالسكين أو نحوه ، ويشق في وجهه بحيث تسهل معه الكتابة ، ويسمح بانتقال المداد من الدواة بواسطته إلى اللوح ؛ وقد يكون القلم غليظاً أو دقيقاً حسب رغبة الكاتب ، وأما طريقة الكتابة به ، فإن الكاتب يمسكه بيده ويقوم بغمسه في المداد أو الحبر ويكتب به، ويتراوح طول القلم ما بين 20 - 25 سنتيمتراً، وعرضه ما بين 3 - 4 سنتيمترات.)⁽²⁶⁾

وفي مقابلات أخرى أجريت مع بعض شيوخ الخلاوي أكدوا بأن التلاميذ في الخلاوي يبدأون الكتابة على التراب (الرمل) أولاً قبل البدء في الكتابة على الألواح ، يكتبون بالأصابع ؛ لأن في ذلك تحسناً للخط وتعوداً على الكتابة، ثم يكتبون بعد ذلك بالقلم على اللوح المصنوع من شجر الهجليج ، أحد النباتات المدارية ، وأول شيء يُعرف للتلميذ الجديد الحروف الهجائية ويكتب له جزء منها على اللوح، بعد تعليمه الكتابة على التراب وهكذا حتى يتعلم كيفية كتابة جميع الحروف، ثم يكتب بعد ذلك جزءاً من الآيات القرآنية، وبعد تسميعها يقوم بمحو الآيات المكتوبة، ثم يكتب آيات أخرى وهكذا إلى أن يحفظ أكبر قدر من القرآن الكريم أو يحفظ القرآن كله⁽²⁷⁾.

2/ اللوح:

اللوحة جمعة الألواح ، والألواح هي من أشهر الأدوات المستخدمة في كتابة القرآن الكريم في دارفور ، واللوحة عبارة عن قطعة من الخشب تصنع من أنواع مختلفة من الأشجار المتوفرة في المنطقة .

ذكر الله عز وجل اللوح والألواح في آيات من سور القرآن الكريم ؛ وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه ، ففي القرآن الكريم ؛ في قوله عز وجل {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}⁽²⁸⁾ ، وفي قوله تعالى : {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ بِأُخْذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (145)}⁽²⁹⁾. وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : « ائْتِنِي بِكَتِفٍ أَوْ لَوْحٍ حَتَّى أَكْتُبَ لَائِي بِكُرِّ كِتَابًا لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ... »⁽³⁰⁾

تصنيع اللوح والكتابة عليه والقراءة منه:

عادة ما يقص اللوح على شكل مربع أو مستطيل ويصنع بأحجام مختلفة وعند قصه يجعل له مقبض من أعلاه ليسهل للطالب مسكه وحمله بكل سهولة، أو يربط مقبض اللوح بخيط أو سير من جلد حتى يتمكن الطالب أيضاً من الإمساك به، أو تعليقها على الحائط بعد الانتهاء من الحفظ في كل يوم دراسي.

روى الشيخ آدم عبدالله أن اللوح يصنع من شجر الهجليج، وهو مستطيل الشكل ، كما يُطلى اللوح بالجير ويُجدد كلما مُحي ليكتب عليه مرة أخرى، ويوشى اللوح بألوان ونقوش عندما يصل التلميذ إلى سور معينة من القرآن الكريم ، وهو ما يعرف بالشرافة ، من الشرف ؛ لأن التلميذ

قد ازداد شرفاً بوصوله إلى موضع معين من حفظه لكتاب الله عز وجل. يبدأ الأطفال يومهم بالقراءة من الألواح، يعقب ذلك فترة الفطور، ثم ينالون قسطاً من الراحة، ثم يذهبون لمحل القراءة ويصححون ألواحهم مع الشيخ، وتعقبها فترة راحة لصلاة الظهر التي يصلونها جماعة، ثم يتناولون قسطاً من الراحة حتى تجيء صلاة العصر، وتستمر الدراسة حتى صلاة المغرب، وبعدها يعودون للقراءة من الألواح حول النار، وتستمر حتى وقت قريب من صلاة العشاء، ثم يعرضون ألواحهم على الشيخ، ثم ينصرف التلاميذ الصغار إلى النوم، ويواصل الكبار القراءة إلى وقت متأخر من الليل⁽³¹⁾.

3/ المداد أو الحبر:

هو المادة التي يكتب بها القرآن الكريم، وقد وردت كلمة المداد في القرآن الكريم في قوله تعالى {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} [الكهف: 109]⁽³²⁾، قال ابن الأثيري: سمي المداد مداداً لإمداده الكاتب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء، ويقال للزيت الذي يوقد به السراج مداداً⁽³³⁾.

تصنيع المداد وتركيبه:

يتم تصنيع المداد وتركيبه من مادة سوداء ناعمة تسمى « بالسكن » أو « السناج »، أو من مسحوق الفحم، وتوجد هذه المادة السوداء في أدوات وأواني الطبخ التي توضع على نار الحطب أو الفحم، ومن هذه الأواني: الصاج الذي تصنع عليه الكسرة، والبرمة أو الحلة التي يصنع عليها العصيد والإدام.

يتراكم السكن، أو السناج على جنبات هذه الأواني، فتزال برفق ثم يخلط مع مسحوق الصمغ العربي المأخوذ من شجر الهشاب أو شجر الطلح - والصمغ مادة لاصقة لزجة تساعد على تعلق ذرات الكربون في المحلول فتثبت في الصحيفة أو في اللوح - ثم يضاف إليه الماء، وفق نسب معلومة لمصنعيه.

في مقابلة مع الشيخ آدم عبدالله عن كيفية تصنيع المداد، قال: ((يعجن هذا الخليط المتكون من تلك المواد المذكورة آنفاً، إلى أن يصل إلى مرحلة اللمعان والبريق، وحتى يصير كتل صغيرة، ثم تقطع أجزاء منها في شكل كرات صغيرة، ثم تعرض للهواء أو لأشعة الشمس لتجفف، حتى يمكن حفظها لفترات طويلة، وعند الاستعمال يوضع المخلوط في قعر الدواة ويضاف إليه مقداراً معيناً من الماء، ثم يختبر هذا المداد بالقلم للتأكد من مدى صلاحيته للكتابة، ويصير بعد ذلك صالحاً للكتابة))⁽³⁴⁾.

يفضل كتابة ونساخت القرآن الكريم استخدام هذا النوع من المداد لأن صناعته سهلة، ومواده متوافرة لا تكلف مالا كثيراً، والكتابة به على الألواح البيضاء واضحة، وتسهل إزالته منها، ويدوم طويلاً على الأوراق، إذا استدعى الأمر الكتابة عليها.

4/ الدواة أو المحبرة :

الدواة جمعها دوي، قال أبو ذؤيب :

عرفت الديار قرقم الدواة ... يزبرها الكاتب الحِميري⁽³⁵⁾.

وهي قنينة زجاجية يوضع فيها المداد، وتسمى المحبرة⁽³⁶⁾.

تصنيع الدواة :

روى بعض شيوخ الخلاوي في دارفور بأن الدواة تصنع من الطين ، أو من الفخار الأملس، أو من الزجاج ، وبعضها تكسى بجلد البقر غير المدبوغ ، وهذه الدواة تأخذ أشكالاً مختلفة، فبعضها تأخذ الأشكال الدائرية ، وبعضها تكون مربعة الشكل ، ويحرص صانعوها على أن تكون فتحتها من الأعلى ضيقة بالقدر الذي يسمح بدخول القلم ، حتى لا يتدفق المداد منها .
وهي وعاء الحبر، وبحسب رواية الشيخ: إسماعيل آدم أحمد شيخ خلوة بمعسكر الحصاصيصا بمدينة زانجي في مكتب معهد القرآن الكريم بجامعة زانجي: أن المحبرة تصنع من الطين في أشكال مختلفة، بعضها مصنوعة من الفخار الأملس، وبعضها مكسوة بجلد البقر غير المدبوغ، ويحرص صانعوها على أن يضيق فتحها بقدر إتساع القلم أو أكثر قليلاً، مع العناية بالشكل الذي يعكس تطوراً في صناعة الجلود ودباغتها⁽³⁷⁾.

5/ الجير:

الجير إحدى أدوات المسح على اللوح، بعد غسل اللوح وقبل أن يجف يمسح الجير باليد على اللوح حتى يجف ليكون جاهزاً للكتابة، ثم بعد ذلك تبدأ مرحلة الكتابة على اللوح، وبحسب رواية الشيخ آدم عبدالله أن هناك نوعين من الجير هما: الثورجا والرؤتو، لكن من حيث الجودة يتميز الثورجا بالجودة العالية، لذلك نجد أن طلاب الخلاوي يستخدمون أحياناً جير الرؤتو في المسح على الألواح في حال انعدام جير الثورجا.

يقوم التلاميذ بمسح ألواحهم بالجير بعد غسلها، يمسح بالجير على اللوح قبل أن يجف ويدلك باليد حتى يجف، ليكون جاهزاً للكتابة عليه، ثم يكتب عليه الآيات القرآنية، وبعد حفظها وتسميعها، يقوم التلميذ بمحو اللوح في المكان المخصص لذلك، ثم يقوم بالكتابة عليه مرة أخرى وهكذا في كل مرة يفعل ذلك وبصورة يومية⁽³⁸⁾.

الشرافة:

الشرافة تعني: أن التلميذ صار يحفظ قدراً معيناً من القرآن الكريم ، ويقال شرافة لأن التلميذ ارتفعت مكانته في سلم معرفة القرآن الكريم.

فمن مظاهر الارتباط أو التعاون بين الخلوة والأهالي ما نلاحظه من تقديمهم للهدايا والنذور للخلوة وفيها أولادهم، ولعل عادة الشرافة تعكس لنا هذا النوع من التعاون، ذلك أن الطفل عندما يصل إلى مواضع معينة من سور القرآن يوشى لوحه بالألوان الزاهية ، ويطاف به ، ومعه أقرانه ، ويقوم أهله وجيرانه بجمع مبلغ من المال ليقدّم له ولزملائه ، ويقدم أيضاً للفقير أو الشيخ ، تكريماً وتشريفاً.

ما يهمنا من هذه العادة أنها كانت تزيد الأطفال ارتباطاً بالخلوة وبالبيئة، كما أنها كانت بمثابة أجر ومكافأة للشيخ على الجهد الذي يقدمه لكي يصل بأولادهم إلى المكانة العالية في حفظ القرآن، ويلاحظ أنها كانت تقدم للشيخ بطريقة عملية، أي بعد أن يحقق التلميذ نجاحاً في حفظ القرآن الكريم ويشرف لا قبل ذلك⁽³⁹⁾.

وفي مقابلة الشيخ/ محمد دين حسين إسماعيل شيخ خلوة خمس دقائق بمدينة

بزالنجي ، ذكر أن الشرافة إنما هي تشجيع وتكريم لطالب القرآن عند بلوغه مرحلة معينة من حفظه للقرآن الكريم، وذكر أيضاً مواضع الشرافة في القرآن الكريم ؛ فقال: الموضع الأول عند بلوغ الطالب في حفظه إلى سورة: البينة ، الموضع الثاني عند وصوله إلى سورة الأعلى ، الموضع الثالث عند وصوله إلى سورة النبأ، الموضع الرابع عند وصوله إلى سورة الملك، الموضع الخامس عند وصوله إلى سورة الرحمن، الموضع السادس عند وصوله إلى سورة محمد، الموضع السابع عند وصوله إلى سورة يس، الموضع الثامن عند وصوله إلى سورة الفرقان، الموضع التاسع عند وصوله إلى سورة مريم، الموضع العاشر عند وصوله إلى سورة يوسف، الموضع الحادي عشر عند وصوله إلى سورة الأعراف، والموضع الأخير عند وصوله إلى سورة البقرة .

ومما ذكره الشيخ محمد دين : أنه كلما تقدم الطالب في مواضع الشرافات المتقدمة ، كلما كان التكريم أكبر، فعندما يصل هذا الطالب في حفظه إلى سورة الأعلى يُكْرَم بالحلوى والتمر، ليقدمه لزملائه وشيوخه بالخلوة، ويزداد التكريم كلما تقدم الطالب إلى مواضع الشرافات المتقدمة خاصة عند وصوله لنصف القرآن ؛ فعند وصوله لسورة مريم، يذبح أهله له الذبائح تكريماً لابنهم ، وتشجيعاً لبقية طلاب الخلوة وللشيخ كذلك، وعند وصول الطالب لنهاية الشرافات عند سورة البقرة يكون هنالك احتفال وتكريم أكبر للطالب من ذويه ، فيذبح له ثور إن كان باستطاعتهم ، ويوزع على الطلاب والشيوخ بالخلوة، وفي هذه المرحلة من الشرافات بنهاية القرآن الكريم يكون هنالك تكريم إلزامي خاص للشيخ ، أما بقية الشرافات (من سورة البينة - سورة الأعراف) فيكون تكريم الشيخ على الخيار أي ليس على الإلزام.

ويذكر الشيخ محمد دين أن الطالب يعاود حفظ القرآن مرة ثانية من البقرة إلى الناس وتسمى هذه العودة ، بالعودة المُرّة، ولا يكون هنالك شرافة ولا تكريم للطالب، ثم يعاود الحفظ مرة ثالثة من البقرة إلى الناس، وتسمى هذه العودة ، بالعودة الحلوة ، ليس هناك أيضاً شرافة ولا تكريم للطالب، ثم يعاود الطالب الحفظ مرة رابعة من البقرة إلى الناس، وتسمى كذلك بالعودة الحلوة ، وليس هناك شرافة ولا تكريم، ثم إذا كان الطالب ذكياً يستطيع اتقان حفظ القرآن الكريم كله يعتبر حافظاً لكتاب الله عز وجل، وإن كان سيء الحفظ يمكنه أن يعاود حفظ القرآن للمرة الخامسة أو السادسة، فإذا أتقن حفظ القرآن كله صار حافظاً لكتاب الله عز وجل ، ويمنح الإجازة من الشيخ بأنه قد حفظ كتاب الله تعالى وبإمكانه فتح خلوة جديدة⁽⁴⁰⁾.

وعادة الشرافة هذه عرفتها كل الكنائس الإسلامية، ففي بغداد كان أذكىاء الطلبة إذا حفظوا القرآن يُحمل الواحد منهم على دابة ويُسار به في شوارع المدينة، وفي مكة إذا حفظ التلميذ القرآن كله أو بعضه أقام أهله له حفلاً وطافوا به في الشوارع، والألواح مرفوعة فوق الرؤوس احتراماً لما بها من آيات القرآن، ثم يعقب ذلك توزيع الهدايا وإقامة الاحتفالات⁽⁴¹⁾. يقول الدكتور رودير زيزيمان في مقال له ترجم باللغة العربية ونشر في مجلة الدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية ما نصه: (هنالك مراحل متعددة تمثل مناسبات لحفلات أو كرامات ، عندما يبلغها الطفل وهذه المراحل تختلف من منطقة إلى أخرى، أما في دارفور فأهم هذه المناسبات هي الشرافة التي عبارة عن وصول الحوار ، أول الطفل إلى مرحلة معينة من قراءته، والشرافة الأولى هي سورة الفاتحة ، التي تنتهي معها إلى مرحلة تعلم الكتابة، ويمر التلاميذ

بخمسة عشرة شُرَافة قبل أن يختم القرآن، ففي كل شُرَافة يزيّن الفقيه لوح التلميذ من جهاته الأربعة وكذلك يعود إلى البيت والأهل والجيران يقدمون له الهدايا مثل الذبائح أو التمر أو الملابس أو مبلغاً من المال قد يحمله إلى شيخ الخلوة.

عادةً يتدبّر الذبح للشُرَافة عند وصول الطالب إلى سورة يس فما فوقها، وقد يكون الذبح قبلها، فتؤكل الذبائح داخل الخلوة، ويستمتع بها الطلبة، ومن عادات القراءة الحفظية أنهم يقرأون بتنغيم وتلحين، وكذلك تجتمع النسوة وهن يزغردن، وهذا فيه تشجيع كبير للصغار على الذهاب إلى الخلاوي ليحفظوا القرآن الكريم، وليكونوا أمثال هؤلاء الحفظة.

هناك اصطلاحات كثيرة مستخدمة في محيط الخلوة نذكر منها: « الزياقة » وهي عبارة عن زينة يرسمها شيخ الخلوة في لوح الحوار في الأعياد، ومن تلك المصطلحات السوط الذي يستعمله الشيخ لمعاينة التلاميذ المهملين، وهذا السوط له أسماء وأنواع كثيرة، منها: (الله حنون)، ومن عادات الخلاوي في دارفور أنه في كل ليلة أربعاء يأتي التلميذ بمقدار من الذرة وتصنع منها البليلة، وبعد نهاية القراءة يأكل الحيران والشيخ سوياً، وقد يحمل الحوار البليلة إلى البيت ليتبرك بها أهله، وأما يوم الخميس فهو يوم مخصوص لتناول « أم دفانة »، وهي وجبة تصنع من الدقيق، يعجن الدقيق ثم يوضع تحت الرماد الساخن والجمر إلى أن ينضج، ثم يوزعه الفقيه أو الشيخ على الحيران⁽⁴²⁾.

جاء في حديث شيوخ الخلاوي أن طالب القرآن الكريم كان مقدراً ومحترماً يحترمه سكان المناطق الريفية، ولذلك لم يجد الطلاب صعوبة في الحصول على قوتهم من أهل القرى طالما أنهم يتعلمون القرآن الكريم في الخلاوي، ويظهر تعظيم حافظ القرآن في أنهم يذبحون له ثوراً كبيراً في يوم تخرجه، وقد تعرض عليه زوجة أو زوجتين أو أكثر في هذا اليوم دون أن يطلب منه مهراً، أما مكانة الشيخ في المجتمع فمكانته عالية جداً، يظهر ذلك في أن بعض المناطق يخصص المزارعون فيها جزءاً من حصادهم لشيخ الخلوة، لأنه يعتبر مصدر تعليم القرآن، الذي هو منبع البركة، وفي المناسبات المتعلقة بمراحل القراءة مثل الشُرَافة تتوافر الهدايا واللباس والذبائح، ولهذا لا يكون الفكي قلقاً على معاشه، بل إنه يعد من أغنى سكان القرية، ولهذا السبب اجتهد طلبة القرآن في الحفظ وهناك من سعى للدراسات العليا من أجل أن يكون صاحب خلوة أو فقيهاً⁽⁴³⁾.

ويمكن أن نقول إن قبيلة الفور جعلت حفظ القرآن علماً خاصاً، وفناً راقياً لا تجد مثله عند القبائل الأخرى الموجودة في دارفور، ومن ميزات هذا الفن أن له طريقة تعليم معينة معروفة بحبال الفور، فلا يرضى العالم عند الفور بحفظ القرآن إلا إذا كان متبحراً في علم الحبال. والحبل هو عبارة عن وسيلة في عملية حفظ الآيات المتكررة، ثم يستعين الطالب بالحبال في حفظ الآيات المتشابهة، وهو يستطيع أن يذكر جميع السور التي وردت فيها كلمة معينة وهذا أيضاً بمساعدة الحبال، ولا يقف دارس القرآن عند تلك المرحلة ولكنه يعرف أعداد الحروف الواردة في الكتاب، ولا يعتبر الحافظ عارفاً بالقرآن إلا كان عارفاً بفن الحبال والحروف، فمعرفة الحبال تعتبر قمة المعرفة عند أفراد قبيلة الفور⁽⁴⁴⁾.

هذا هو مستوى التعليم في خلاوي المهاجرين، ولفظ المهاجرين اسم يطلقه أهل دارفور لتلاميذ القرآن هجروا قراهم وديارهم ورحلوا إلى خلاوي القرآن ليحفظوه.

ليس من الغريب أن تكون الفترة التي يقضيها المهاجرون في الخلوة ، أحياناً ، قد تزيد عن عشرة أعوام ثم يتخرجون ، وأحياناً يؤجل الشيخ تخرجهم ليستفيد منهم في تحفيظ القرآن لتلاميذ الصغار.

يعرف أفراد الفور نوعين من الامتحان: أولهما امتحان القوي المنتشر عند جميع القبائل الموجودة في دارفور - والقوي مصطلح يطلقه أهل دارفور على الحافظ الماهر بالقرآن الكريم - فيجتمع عدد من الحفظة ثم يحضر الممتحن وعليه أن يكتب ويقرأ من ثلاث عودات أو أكثر كتابة وقراءة قبل أن يستحق لقب القوي.

أما النوع الثاني من الامتحان فهو غاية الصعوبة فلا يجتمع في لجنة الامتحان إلا المشايخ الكبار الذين اشتهروا بين الحفظة وبين أهل الحبال منذ سنين، وفي هذه المرحلة المتقدمة لا يُسئل الممتحن عن حفظه بالقرآن بل إن هذا الامتحان يركز على الحبال فقط، لأن المعرفة التامة بالقرآن وحفظه شرط أساسي لمعرفة الحبال، وإذا نجح الطالب في الامتحان فإنه يسمح له بفتح خلوة جديدة كما تقام له الاحتفالات والمهرجانات التي قد تستمر أسبوعاً كاملاً، ويحضرها الحفظة والمشايع والقوي.

الخاتمة

لقد تبين جلياً من البحث العناية الشديدة التي حظي بها القرآن الكريم من حيث الكتابة والتدوين ، منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وصحابته الكرام رضي الله عنهم، والمسلمون من بعدهم - كما مر معنا عند ذكر أدوات وتقنيات كتابة القرآن الكريم في خلاوي دارفور - ذلك أن الكتابة هي الوسيلة الثانية لحفظ القرآن الكريم ، بعد حفظه على الصدور ، وقد عرض البحث تلك الأدوات والوسائل التي استخدمت لكتابة القرآن الكريم في خلاوي دار فور بشيء من التفصيل ، مع ذكر التسلسل التاريخ لهذه الأدوات منذ صدر الإسلام ، ذلك بهدف التعريف بها ، والمحافظة على أثرها ، حتى لا تنطمس معالمها ، خاصة بعد انتشار المصاحف المطبوعة ، والمصاحف المحملة في أجهزة التقنية الحديثة ، وقد توصل الباحثون في نهاية بحثهم إلى جملة من النتائج والتوصيات المفيدة ، يمكن أن تكون هادية للعاملين في حقل تعليم القرآن الكريم ، من شيوخ وطلاب ، ومراكز ومعاهد وكليات وجامعات متخصصة في هذا المجال.

نتائج وتوصيات البحث:

لقد توصل الباحثون في بحث : ((أدوات الكتابة وأثرها في تقنيات حفظ القرآن الكريم في دارفور)) إلى نتائج وتوصيات من أهمها :

1. القرآن الكريم لم ينزل مكتوباً ، وإنما نزل وحياً متلوّاً ، فكتبه الصحابة بما كان معهوداً لديهم من وسائل كجريد النخل ونحوه ، وكتبه أهل دارفور بوسائلهم المتاحة لهم في عصرهم ، وتجاوز كتابته بوسائل أخرى حديثة تتجدد مع تجدد الزمن والمكان.
2. الورقة بينت أن أهل دارفور تقفوا أثر العلماء الذين كانوا من قبلهم في ابتكار تقنيات وأدوات كتابة وحفظ القرآن الكريم.
3. أظهرت الورقة أن أهل دارفور يكتثرون من المشجعات لتعزيز حفظ القرآن لدى الطلاب ، مثل إهداء

- الزوجات للحفظة وإقامة اللوائم وتقديم الإهداءات المتنوعة.
4. مع تنوع التقنيات التي تسهل تعليم القرآن الكريم وكتابته تنوعاً كبيراً ، يجب على من يقوم بتعليم القرآن أن يطور مهاراته ، ويجدد تقنياته ، ويختار معلمو القرآن التقنيات التي تتناسب مع بيئة طلابهم في تعليمهم القرآن الكريم ، خاصة تقنيات (ويب 2) ، ومن أمثلتها التدوين بكافة أنواعه (الكتابي والصوتي والمرئي)، وتقنية الفلكس وأجاسك وتقنية VoIP ، وغيرها من التقنيات التي تسهل على المعلم والطالب استخدام التقنية في تعليم وتعلم القرآن الكريم ؛ من أجل الحصول على الفائدة المبتغاة ، وتجنب هدر الجهد فيما لا يجدي.
5. ظهور خصوصية أهل دارفور في تقنيات حفظ القرآن الكريم مرجعها إلى خصوصية البيئة المحيطة بهم .

المصادر والمراجع:

1. (الكندري، فيصل عبدالله الكندري، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، العدد التاسع 1997م، ص 130).
2. (ابن خلدون، عبدالرحمن ابن خلدون، المقدمة، ط1، بيروت 1977م، ص 508)
3. (أبوبكر، عوض عبدالله أبوبكر، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 13، ص264).
4. (سورة البقرة: الآية: 282).
5. (سورة العلق، الآيات: 1-5) .
6. (الصياصنة، مصطفى بن عيد الصياصنة، مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد 45، ص 152، جمادي الثانية 1416هـ).
7. (سورة القلم، الآيات 1-4) .
8. (سيد قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ج7، ص287، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة ، ط 17 - 1412 هـ)
9. (أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، 364/4، حديث رقم 4702).
10. (الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، كتاب العلم، 188/1، حديث رقم 362) .
11. (مجلة البحوث الإسلامية، ص155).
12. (سورة العلق، الايات ك3-4)
13. {حموش، مأمون حموش، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، ج 8، ص 500، ط 1 1428 هـ - 2007 م}.
14. (الشنقيطي، الشيخ محمد الحسن الشنقيطي، دروس للشيخ الشنقيطي (أهمية الكتابة للعلم)، ص 9).
15. (الخطيب، محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، ص29-30، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط19، 1422 هـ - 2001م).
16. (كفا في الشريف، محمد عبد السلام كفا في وعبد الله الشريف، في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، ص73-74، الناشر: دار النهضة العربية - بيروت).
17. (مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، ج4، ص2298، حديث رقم3004).
17. (سورة النساء ن الآية 95)
18. (البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كتاب النبي ﷺ، 1909/4، حديث رقم 4704).
19. {البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ما يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً، ج9،

- ص74، حديث رقم 7191}
20. [التوبة: 128].
21. {البیهقي، أبو بكر البیهقي، السنن الكبرى، كتاب جماع أبواب سجود التلاوة، باب سجدة ص، ج2، ص 453 حديث رقم 3750}
22. (الخطيب، ص33).
23. (سورة القلم : الآية :1)
24. (سورة الكهف : الآية :27)
25. مُصنف ابن أبي شيبة 259/7
26. كانت المقابلة بتاريخ 2019/11/2م بمكتب معهد القرآن الكريم وتأصيل العلوم.
27. (مقابلات بتاريخ: 2019/10/9م بمدرسة الأمل الأساسية المختلطة مع كل من الشيخ/ آدم على اسحق أحمد، والشيخ /الطيب حسين عبدالمولى محمد، والشيخ/ عبدالله شرف آدم كراسي، والشيخ/ محمد الزين محمد عبدالمولى، والشيخ/ صالح عبدالمجيد آدم كمون).
28. سورة البروج : الآيات 21-22
29. سورة الاعراف :الآية 145
30. مسند أحمد 2646/8
31. (مقابلة مع الشيخ آدم عبدالله، في مقابلة بتاريخ 2019/11/2م)
32. سورة الكهف :الآية 109
33. لسان العرب 298/3
34. (الشيخ آدم عبدالله، في مقابلة بتاريخ 2019/11/2م).
35. مقابلة معه بتاريخ 2019/11/7م.
36. (المعجم الوسيط، 306/1)، (التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ص414)
37. (الشيخ آدم عبدالله، في مقابلة بتاريخ 2019/11/2م).
38. (يحي محمد إبراهيم، تاريخ التعليم الدينية في السودان، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1987م، ص 108).
39. مقابلة بتاريخ 2019/10/25م
40. (يحي محمد إبراهيم، ص 108).
41. د. روديقر زيزيمان، بعض ملامح التعليم الديني بالخلاوى في دارفور، دراسات أفريقية، العدد 13، يونيو 1995م، ص 101.
42. د. روديقر زيزيمان، ص 103.
43. د. روديقر زيزيمان، ص 103-104.
44. د. روديقر زيزيمان، ص 104

المراجع:

1. أبوبكر، عوض عبدالله أبوبكر، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 13.
2. أبودود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت.
3. ابن خلدون، المقدمة، عبدالرحمن ابن خلدون، ط1، بيروت 1977م.
4. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط1 - 1422هـ.
5. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3، 1424 هـ - 2003 م.
6. الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1411 - 1990، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
7. حموش، مأمون حموش، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، ط1 1428 هـ - 2007 م.
8. الخطيب، محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، ص29-30، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط19، 1422 هـ - 2001م.
9. روديقر زيزيمان، بعض ملامح التعليم الديني بالخلاوى في دارفور، دراسات أفريقية، العدد 13، يونيو 1995م.
10. سيد قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط17 - 1412 هـ.
11. الشنقيطي، الشيخ محمد الحسن الشنقيطي، دروس للشيخ الشنقيطي (أهمية الكتابة للعلم).
12. الصياصنة، مصطفى بن عيد الصياصنة، مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد 45، جمادي الثانية 1416هـ.
13. كفاي والشریف، محمد عبد السلام كفاي وعبد الله الشريف، في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، ص73-74، الناشر: دار النهضة العربية - بيروت.
14. الكندري، فيصل عبدالله الكندري، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، العدد التاسع - 1997م.

15. مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، الناشر : دار الجيل بيروت.
16. يحيى محمد إبراهيم، تاريخ التعليم الدينية في السودان، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1987م.
- مُصنف ابن أبي شيبة : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (159 - 235 هـ) ، تحقيق: محمد عوامة.
17. أحمد : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون
18. لسان العرب :ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) ، دار صادر - بيروت - ط الثالثة - 1414 هـ
19. ابن قتيبة :غريب الحديث ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ) المحقق: د. عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني - بغداد ، الطبعة: الأولى، 1397
20. المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار ، دار الدعوة، تحقيق / مجمع اللغة العربية
21. التَّلْخِصُ فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الْأَشْيَاءِ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، تَحْقِيقُ الدكتور عزة حسن ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق الطبعة: الثانية، 1996 م

المقابلات:

1. الشيخ / آدم عبدالله محمد، شيخ خلوة المدينة المنورة - مدينة زانجي ، ولاية وسط دارفور، السودان .
2. الشيخ/ آدم علي إسحق أحمد، شيخ خلوة بمعسكر الحميدية - مدينة زانجي ولاية وسط دارفور ، السودان .
3. الشيخ/ عبدالله شرف آدم كراسي، شيخ خلوة بمعسكر الحميدية ومعلم قرآن بمدرسة الأمل بمعسكر الحميدية - مدينة زانجي ، ولاية وسط دارفور ، السودان .
4. الشيخ/ محمد الزين محمد عبدالمولى، شيخ خلوة بمعسكر الحميدية ومعلم قرآن بمدرسة الأمل بمعسكر الحميدية - مدينة زانجي ، ولاية وسط دارفور ، السودان .

5. الشيخ/ صالح عبدالمجيد آدم كمون، شيخ خلوة بمعسكر الحميدية ومعلم قرآن بمدرسة الأمل بمعسكر الحميدية - مدينة زالنجي ، ولاية وسط دارفور ، السودان .
6. الشيخ محمد دين حسين إسماعيل، شيخ خلوة بمعسكر خمسة دقائق - مدينة زالنجي ولاية وسط دارفور ، السودان .
7. الشيخ/ إسماعيل آدم أحمد، شيخ خلوة بمعسكر الحصاحيصا - مدينة زالنجي ، السودان.